

## قراءات ثلاث في «حلوى الأعياد»... دراسة تأويلية نقدية في نصّ الشاعر العراقيّ هاني عقيل

ليندا نصّار

لاشكّ أنّ النصوص الحديثة لا يمكن تأويلها والاحتفاء بها إلا من خلال استقراء رموزها التي تكمن في عمق مفرداتها ففترضنا تأويلاً خاصاً على الناقد. ولا يسمى حكماً نقدياً نهائياً. إذ إنّ لكل إنسان رؤى خاصة ينطلق منها لتحقيق الدراسة وفهم المعنى والمقصود من خلال النصّ. إنّ طبيعة العمل النقدي واسعة إذا شرّعناها. نستطيع اكتشاف آلية النصّ ورموزه فنصبح جزءاً من دائرة الإبداع الحديث. من هنا وقع الخيار على نصّ «حلوى الأعياد» للشاعر والناقد العراقيّ هاني عقيل، وسيدرس على طاولاة القراءات الثلاث للولوج في معناه ومبناه وإيقاعه.

النصّ «حلوى الأعياد»:

في الذاكرة طفل ينام  
وحشو وسادته ريش النعام  
وتحتها أخفى الكنوز أسماً لمرتبقة وبعضاً من كلام  
العبد أقبل يا سلام

وغداً ستشرق شمسنا كي تملأ الفلوات حلوى

ماضرها إن كان سناؤها نورا وحلوى

كيما أنام كيما أرى أمي في كفها

كسرة خبز طازج فيه شيء من طعام

وأرى أبيّ نصّ التراب

واستحال القبر أحلى حلّة أزهي الثياب

قد أطال رقبوده فمتى القيام؟

قد مللت الضرب برحاً من قفا ومن أمام

ماذا يسمّى العبد إن زارني وأنا يتيم

في مهج فيحديعونه ظلاماً وغمراً ملجأ الأيتام

- القراءة الأولى: خلال القراءة التأويلية للكشف عن

أبعاد النصّ، نلمح العمل الواعي الذي يستحضر أشياء من الذاكرة. إذ يبدأ النصّ به في الذاكرة» ويظهر العمل المنطقي المتسلسل الذي يؤكد تأثر الشاعر بالوضع الراهن. بما فيه من ألم وحرقة وحرمان. فكان لا بد لنا من دراسة مقارنة للمعجم الذي يدل على المرحلة الانتقالية بين حالتين متناقضتين وزمئتين مختلفين على الشكل التالي:

الحالة الأولى: معجم فرح الحياة: طفل، نوم، كنوز، العبد، سلام، نور، حلوى...

الحالة الثانية: معجم الحزن والموت: ملجأ، أبي، التراب، القبر، ضرب، يتم...

وحشو وسادته ريش النعام

وتحتها أخفى الكنوز أسماً لمرتبقة وبعضاً من كلام تكشف هاتان الحالتان عن تساؤلات معقّلة نابغة من الظلم والحرقة والألم. في الحالة الأولى تبدو لنا الحياة بكل ما فيها من راحة وسلام أثناء الأعياد. إنّه طفل يتنعم بالراحة في بيت أهله، وهو محاط بكل ما يحتاج إليه من أمن وسلام. أمّا الحالة الثانية، فهي انتقال من الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر، أي من البيت والأمان إلى الملجأ واليتيم. وتأتي مفردات المعجم لتؤكد ذلك: الأب في التراب، وهنا الموت والأبن في الملجأ أي اليتيم والضرب... فالكنوز تحوّل من البيت إلى التراب بعد وفاة الأب:

وأرى أبي نصّ التراب

واستحال القبر أحلى حلّة أزهي الثياب

قد أطال رقبوده فمتى القيام؟

نحن نعلم إنّه ظلاماً كانت صورة الأب تهامس رؤى الطفل. وقد تدل صورة الأب على أيّ راع يسوس رعيته، وخجدة يقذف فيشترأ بنائها. وتجدر الإشارة إلى أن للنصّ أبعاداً أخرى. فقد يكون اليتيم نفسياً أحياناً، وهو نتيجة

الوحدة والفراغ والمعاناة التي يعيشها الإنسان في ظلّ الأوضاع المؤلمة.

لجمالية الانزياح التي حفل بها النصّ أثر كبير في اختيار النصّ للدراسة، فهو يثور اللغة بتراكيب جذبية رائحة من خلال استحالة القبر «أحلى حلّة أزهي الثياب» ولا يخفي ما لهذه الصورة من جمال انزياح وإيقاع واضح.

القراءة الثانية: في القصيدة كما سبق أن ذكرنا، أبواب تتحنّن على الولوج إلى المبعاني التضمينية. في هاتين الحالتين المتعارضتين فرض التعارض في الصور الشعرية أيضاً. على سبيل المثال عندما ذكرت الكنوز وهي دلالة الثراء، انتقل الشاعر إلى ذكر التراب. وفي الكنوز والتراب استلهم للتاريخ. فإذا عدنا إلى الوراء نجد أنّ الكنوز تكون مخبّاة تحت الأرض في الممالك القديمة، وما زال البحث والتقيب عنها ساريين حتى اليوم. وهنا يتدخل اللاوعي وهو نتيجة جهد وقراءات ومعرفة كبيرة لدى الشاعر والناقد هاني عقيل. فيظهر اطلاعاً أيضاً على الألياف الشعرية المتنوّعة، والدليل على ذلك أنّ قصيدته تحمل أكثر من معنى ومبنى، وهو غنى أضافه الشاعر إلى الشعر:

كيما أنام كيما أرى أمي

في كفا كسرة خبز طازج

فيه شيء من طعام

ويبدو جلياً أنّ الشاعر عمد إلى بناء نصّه وفق شبكة

متسلسلة للعبارات فرضت الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية. نعني من الحياة إلى الموت ومن الأمان إلى التشرّد. كما أنّ همدسته البنائية قدّمت لنا رؤيته التراتبية في تداعي الصور الشعرية في بناء نسق جمالي للنصّ. فقد نجح الشاعر هاني عقيل في بناء تلك الأنساق الحرة بموازاة الإيقاع الباذخ الذي اتّحفا به:

العبد أقبل يا سلام

وغداً ستشرق شمسنا

كي تملأ الفلوات حلوى

ماضرها إن كان سناؤها نورا وحلوى

إنّ بناء النصّ وفق رؤى الفلسفة العميقة، كان أدعى لنا من تناوله فهو يورد قيمة الشمس الكونية على غير

حقيقتها. فهي لا بد أنّ تهب الضوء والحلوى وهو انعكاس لأكثر من حقيقة، فقد تكون الشمس هنا الأمل الذي يبرز على كل مظلوم وقد تكون الثورة التي تهبنا الكنوز.

- القراءة الثالثة: تسير هندسة النصّ وتشكيلاته الإيقاعية على نحو متواز مع المعنى: ما ساعد على بثّ الجمالية أكثر في بنائه وأطلق أبعاداً تنقل المتلقي إلى تلك الحالات التي سبق أن درسناها.

إنّ التفعيلات أبرزت موسيقى النصّ وجعلته قريباً من آذن القارئ. استطاع الشاعر اختيار طيف التفعيلة وهو طيف حرّ متنوّع الضربات الإيقاعية. فقد شدنا الإيقاع الباذخ في النصّ والمنظومة الموسيقية التي أبهرتنا بانسيابية الحركة والصوت.

من الملاحظ احتفاء النصّ بإيقاع داخليّ من خلال التراكيب والجمال التي أوردتها الشاعر منها: أخفى الكنوز، استحال القبر، أحلى حلّة، نورا وحلوى، كيما أنام، وهو

يؤكد التكرار الإيقاعي مع التكرار اللفظي في قوله:

كيما أنام كيما أرى أمي

في كفا كسرة خبز طازج

فيه شيء من طعام

وقد يطرح تساؤل من أين لهذا النصّ بكل هذا الإيقاع؟

هل هي التفعيلة أم التراكيب أم اللغة الحقيقية؟ حالة تشير إلى قدرة الشاعر على بناء التعلية مع القافية، المتمثلة بحرف الميم ذي الإيقاع الفخم، وهو طيف شعري قلما نجد في الساحة الأدبية. فكما نعرف أنّ



التفعيلة تحتفي بقافية متنوّعة، لكن أنّ يثبّت لها قافية موحدة وبهذا الشكل السلس، هذا ما يحسب للشاعر في قدرته على أنّ يختط له أسلوبية بنائية وإيقاعية خاصة به:

قد مللت الضرب برحاً من قفا ومن الأمام

ماذا يسمّى العبد إن زارني وأنا يتيم

في مهج يدعون ظلاماً وغمراً ملجأ الأيتام؟!

ختاماً، نقول إنّ هاني عقيل يحمل قلماً بانجاهين

وبعدين، هما: الناقد والشاعر. وقد استطعنا من خلال القراءات الثلاث أنّ ندرك صدقه وإحساسه من خلال هذا الإبداع الجليّ في حرفه. ويبيّن من الحقّ أنّ نقول إنّ القراءات الثلاث طريقة نقدية تحتفي بالنصوص بدقة وتعليلها حقها، ما يسهّل تقديمها وعرضها للمتلقي، وقد ساعدنا نصّ الشاعر والناقد هاني عقيل في تحقيق الهدف من هذه الدراسة التأويلية للكشف عن الأبعاد المنشودة في القصيدة.

## ثقافة وفنون

### ومضات

- الماضي مستقبلي تحقّق، والمستقبل ماضٍ في طور التحقّق.
- الفعل مجزأ من فعله، هو حيزٌ ماديّ محدود، هو وجود غير هادف، غير فاعل، غير ذوريّ.
- إن لبلادٍ خاطراً، يسلم ويكسر ويجبر. وأكثر ما يكون مزهواً، حينما يعبر لبحج الزمان وأموالجه وهو سالم.
- خاطر أرضنا مكسور حتى التشظي، حزين حتى عتبات الموت.
- في الكلمة تنطوي كافة العقول منذ الأزل وإلى الأبد.

د. نسيب أبو ضرغم

## المرصد

### المطربون اللبنايون

#### من أخفق ومن نجح في مهرجان جرش؟

##### ■ هنادي عيسى

احتفل مهرجان «جرش للثقافة والفنون» هذه السنة بدورته الثلاثين. وقد وقف على خشبة هذا المسرح التاريخي، عشرات الفنانين العرب والعالميين. ودائماً يخصص المسرح الجنوبيّ لاستقبال أهم نجوم العالم العربي.

كان المطربون يحملون بالوقوف أمام الجمهور من الأردن وفلسطين، الذين يقصدون جرش لحضور نجومهم المفضلين. وكثيراً ما وقف جورج وسوف، ملحم بركات، وليد توفيق، راغب علامة، نوال الزغبى، نجوى كرم، وغيرهم من نجوم سورية ولبنان الذين كانوا يغنون أمام مدرجات مملوءة بالألآف. أما هذه السنة، فهناك مجموعة من المطربين اللبنايين الذين شاركوا باحتفالية مرور السنوات الثلاثين على انطلاق هذا المهرجان العريق. لكن معظمهم أخفقوا في استقطاب عدد كبير من المتفرّجين، نظراً إلى الضعف في الإرشيف الفني، أو عدم قدرة المطرب على جذب الناس وحفّهم على دفع المال مقابل الدخول إلى الحفل.

أول المشاركين اللبنايين هذه الدورة كان رامي عياش، الذي أصيب بصدمة عندما علم أنّ المدرج الذي يتسع لأكثر من خمسة آلاف شخص، لم يجلس فيه سوى نحو ألف متفرّج. وأمام هذا الواقع، رفض عياش أنّ يغني أمام هذا «العهد القليل»، ما اضطر إدارة المهرجان لأن تفتح الأبواب وتدخل الناس مجاناً. ومع ذلك، لم يصل عدد الحاضرين إلى أكثر من ألفي شخص. وبعد تأخير قوامه ساعة ونصف الساعة، غنى عياش، لكن الصحافة التي حضرت المهرجان، كتبت في اليوم التالي عن إخفاق «الهوب ستار»، خصوصاً أنّ مكتبته الإعلامي ووّزع صوراً للمدرجات مملوءة، أخذت من حفل المطرب الأردني عمر عبد اللات، ووصف عياش ومكتبته بالسارقين، كما ووّعت الفيديووات عبر الإنترنت، تظهر قلّة الحضور في حفل رامي عياش.

كما قدّمت ياراً حافلاً اعتبر جيداً رغم أنّ الحضور لم يملأ المدرجات. ما يدل على أنّ نجومية يارا لا تزال محدودة. ومثلها كان حفل جوزف عطية طري العود الذي حضره عدد من محبيه، لكنهم لم يملأوا المدرجات بكاملها، نظراً إلى ضعف إرشيفه الفني. إذ من يفك على مسرح كعسرح جرش، عليه أن يكون صاحب باع طويل في الأغاني الناجحة.

وجاءت ليلتا نانسى عجرم ووائل كفوري لتلقبا المقاييس. ففي الحفلتين، كانت المدرجات مكتظة بالجمهور الذي ردّد مع النجمين أجمل أعمالهما الفنية. وهذا النجاح أعاد الاعتبار لنجوم الأغنية اللبنانية وجماهيرهم. أما أمس الجمعة ليلاً، فقد كان متوقّعا أنّ تكون مشاركة مايا دياب محقّقة بالمخاطر، لأنّ جمهور جرش «سريع»، ولا يلتفت إلى الشكل الخارجي فقط. فكيف سيكون حضور دياب؟ حتماً الجواب سقراً عنه اليوم.

وتبقى كلمة أخيرة، أن ليس كلّ من قدّم أغنية وصور «كليباً»، بإمكانه أن يفك على أعرق المسارح. وبعد هذه الدورة، على إدارة المهرجانات الكبيرة أن تختار الفنان المناسب للمكان المناسب.

## «المضللون» لدريد عودة...

### رحلة داخل عقل إرهابي

وتحلول الأفكار الدينية الغلامية مكانها. وفي هذا السياق، تستعين الرواية الدعوة إلى ثورة ثقافية عميقة لإعادة النظر في الموروث الديني، ولبلورة نزعة عقلانية تنويرية أكثر إنسانية. وفي بعدها الديني - المجازي، تتناول الرواية وتستعير أدبيات العقل التكفيري بكل تشوهات الأخلاقية والإنسانية، ومناهاته الفكرية العبيثة، وغيبياته الدينية وانحرافات الجنسية الرضّية، إذ تتكّب «فانتازيا» الجثّة بدماء أبطالها وضحاياهم، كما يقول الكاتب في مقدّمة روايته.

أساساً في بعدها الفلسفي - الإنساني، فإن رواية «المضللون» رواية رواقية ونيئتوية خاصة تقيم محاسبة فلسفية بين حرية وعبودية الفكر، وبين قيم الحياة وقيم الموت؛ لمواجهة فكرية بين القيم الإنسانية التي هي دين الحياة كما يقول المؤلف، والقيم الدينية التكفيرية التي هي أخلاق موت وقيم موت تنفي الحياة، وذلك بعدما حوّل التكفيرون الدين من شرعة حياة إلى شريعة موت؛ مواجهة قيمية

وإصدار السادس للكاتب والمؤلف دريد عودة، ربايته الجديدة «المضللون» - رحلة داخل عقل إرهابي» (304 صفحات من القطع الوسط). تحكي الرواية قصة شاب فجر نفسه بابرياء مدنيين من أبناء حبه حيث ولد وترعرع وتعلم، وإنّه يعتبرهم «كفاراً ومرتدين وضالين وجب قتلهم»، وذلك بعدما تحوّل من شاب طيب خلوق إلى إرهابي مجرم سفاح (اسمه السلفي «أبو قتادة»)، على يد الداعية التكفيري عبد الرحمن، الذي يكفر كل من ليس على طريقته بمن فيهم أبناء دينه وطائفته.

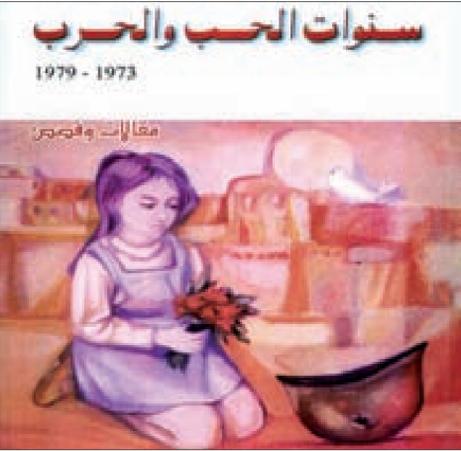
وترافق رواية «المضللون»، التي هي رواية مجازية تنتمي إلى نوع أدب الفانتازيا، «أبا قتادة» هذا في رحلته بعد الموت إلى الجحّة وحوياتها اللواتي وعدد بين مضله الشيوخ العبدي التي بدأها «ببقطة البشير» التي كلمه عنها، ووصولاً إلى «بوابة السماء»، حيث التقى الشاب الملاك جبriel ناقل الوحي، وهو شخصية رمزية رئيسة في الرواية استند إليها المؤلف لإجراء مقابلة عميقة ومثيرة بين الضمير الإنساني والوحي الإلهي، ثم «عودته» إلى الأرض ليرى ما جنت يداه.

الرواية سوسيوولوجية - نفسية، ودينية - مجازية، وفلسفية - إنسانوية. في بعدها السوسيوولوجي النفسي، تتناول رواية «المضللون» عامل الحرمان الاجتماعي (الفقر)، إذ تحوّل «يوتوبيا الفقراء» في رأس الشاب الفقير (أبي قتادة) إلى «يوتوبيا الشهداء». كما تتناول عامل الحرمان الجنسي الذي يصفه المؤلف بـ«المجاعة الجنسية» في شرق يحرمّ الجنس على الأرض ويبيحه في السماء: «عاملان يستغلها المعاة التكفيرون لتضليل الشباب وتحويلهم إلى إرهابيين قتل ماجورين، و«أجرهم من السماء» وفيها. كذلك تسلط الرواية الضوء على تنامي الزعة الدينية المتطرّفة لدى الطبقات العليا من المجتمع، في أوساط الأغنياء والمتعلمين، وعدم اقتصرها على الفقراء والجثّة والأتيمين. وهنا تلفت الرواية في حجبها الدرامية إلى حالة الضياع الفكري والتفكير الثقافي، وسببها انحسار الأفكار التنويرية الكبرى

##### كمال مساعد

## «سنوات الحبّ والحرب»...

### مقالات وقصص لأدبية كويت الخوري



##### محمد خالد الخضر

«سنوات الحبّ والحرب»، كتاب يتضمّن مقالات أدبية وقصصاً قصيرة للادبية كويت الخوري كتبتها بين عامي 1973 و1979. وتمكّنت عبرها من تأريخ حرب تشرين التحريرية وما سطره أبطالها من أمجاد. الكتاب الصادر عن «الهيئة العامة السورية للكاتب»، ويقع في 334 صفحة من القطع الكبير، يظهر حرص الكاتبة على رفع المستوى الأدبي في ما جاءت به نظراً إلى أهمية القصص التي أتت بها من الميدان العسكري ومن المشافي ومن ذوي الشهداء، لتكون كتاباتها محمّلة بكرامة الجندي السوري وعفوانه. في مقالها الأول الذي جاء بعنوان «أخي الغالي كمال ناصر»، رثت فيه الأدبية الشاعر الفلسطيني الشهيد كمال ناصر الذي شكّل عبر مسيرته النضالية حربة في أحداق العدو الصهيونيّ، ما دفعهم إلى اغتياله، وفي الوقت عينه جاء المقال بأسلوب سردي قريب من القصّ، نظراً إلى ما يحمله من عاطفة، ومن معنى استطاعت أن تنصاع أحداثه حتى النهاية، لاسيما أنّ الخوري استشهدت بما ذهب إليه ناصر عندما قال: «العدو ليس قويا... العدو جبان... نحن الذين نمنحه من ضعفنا قوّة... صدقوني قوّة العدو ليست سوى ضعفنا».

كما عبرت الأدبية الخوري في مقالها «بلا مكياف» عن استهتار العرب بثقافتهم وعدم تمتكهن من استحضار الألفاظ اللغوية الساقين فقالت له: «المهم أنّ أراك على رغم وجود مفردات كثيرة وبديلة للكلمات الأعجمية في لغة الضادّ.

أما ما جاء تحت عنوان «سفرأوتنا إلى المجد»، فضمّنته الخوري عدداً من الأحداث التي تحكي قصص الطيارين السوريين وبطولاتهم في حماية سماء الوطن بشكل مكثّف تجاوز المقال ووصل إلى القصّة القصيرة جدًا.

وجاءت قصّة «موطن من تشرين» لتسجّل تمسك السوريين بكرامتهم من خلال رجل عجوز حمل على كتفه بطلاً من أبطال تشرين، والذي ابلى بلاءً حسناً في الحرب، ثمّ أصيب، وعلى رغم الإعياء والتعب، صنّم الرجل العجوز على الوصول بالجريح إلى المشفى محمّلاً المشقة مقابل الأيتار واحداً من حماة الوطن يعانين من جروحهن في الأرض العراء.

ولعل أهم ما طرحته الأدبية الخوري، قصّة المرأة السورية التي كان عنوانها «امرأة من تشرين»، تلك المرأة التي ذهبت لتزور ابنها في المشفى، وبعد عناء طويل، استطاعت أن تصل إليه لتجد ميتور الساقين فقالت له: «المهم أنّ أراك حيناً ومنصراً على أعدائك بإذن الله، وضمن النصر يا ولدي غال».

الكتاب خلد ماثر حرب تشرين. وتمكّنت الخوري من استحضار قصص أخرى متنوّعة تحظى بمقدرة فائقة على الإشارة والتشويق نظراً إلى تمرس الأدبية بالسرد الروائي وكتابة القصّة والمقالة، إضافة إلى حرصها على المستوى الرفيع في المواد المكتوبة.

## «سحر الكلمات» لعادل الفريجات...

### حالات من الحبّ وصور من الواقع

يقدم الناقد والأديب عادل الفريجات في مجموعته القصصية «سحر الكلمات» باقة من القصص القصيرة والقصيرة جدا تحمل روح الحب بمعانيه وحالاته وأشكاله المتعددة من خلال عرض صور من الواقع يقابل قصصي مشوق، إضافة إلى مجموعة من المواضيع التي فرضتها الأزمة في سورية، إذ استقى سير أبطالها من واقعنا اليومي العيش محمّداً أماكن حدود بعضها في وطنه الأم سورية، والأخرى في باريس حيث سافر الكاتب أكثر من مرة.

«سحر الكلمات»، الكتاب الصادر حديثاً عن «دار المنبر للنشر والنوذج» في دمشق، يتضمّن ثمانية قصص قصيرة 36 قصة قصيرة جداً، بشكل الحب بحالاته القاصم المشترك بين أكثرها، التي مثل قصة «سحر الكلمات» التي حملت عنوان المجموعة، وهي قصة رومنسية جمعت «سعيد» مع المرأة التي أعجبت به وتغرّلت بها ذات يوم، ليكتشف أنّ سحر كلماته الغزلية لها طبعته أثرها في حياتها، وتجد ذلك أيضاً في قصة

«فرح يطعم الحزن»، إذ ترتبط «ندى» بمن تحب بعد عشرين سنة من الفراق. لتصور القصة مشاعر الفرح الناض والحزين لأنه فرح متأخر لكنه يبقى فرحاً لأنه كان مع من نحبّ. وفي قصة «الحب والتعلم»، يشير الكاتب إلى عالم الحب الافتراضي على «فايسوك» الذي يعيشه الأشخاص عبر سبع دردشات بين صديقين قديمين التقيا بعد فراق على صفحات الإنترنت، ليجمعهما الحب. وما يثير الاستغراب المصطلحات والتعابير التي يستخدمها متصفح «فايسوك» وينقلونها عن واقعنا والتي غزت مفرداتنا وحديثنا اليومي. كما أخذت عدة قصص طابعاً اجتماعياً صور الواقع الذي فرضته الأزمة والهجرة خارج الوطن. ففي قصة «هكذا هي الحياة» تمثل حنان التي غادرت بلدها الأم بسبب الأزمة وحصلت بعد جهد ومشقة على إقامة لمدة عشر سنوات في فرنسا لمقولة «إن الحياة تمنحنا بعض ما نريد وتمنع عنا الحصول

